مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد08 / العـدد: 02 (2022)، ص 49- 66

الشيخ أبو عمار عبد الكافي الورجلاني(ت قبل570هـ/1174م)

-سيرته ومنهجه في سيرته-

Sheikh Abu Amar Abdul kafi Al warjilani(before570Ah/1174Ad)

His biography and his biographical approach

الزرويل صالح[1*]، أ.د. إبراهيم بحّاز[2]
[1] مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية –جامعة غرداية- (الجزائر)،
salah.zerouil@univ-ghardaia.dz
[2] مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية –جامعة غرداية-(الجزائر)،
bahazhistory@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/15 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية للتعريف بالشيخ أبي عمّار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني(ت قبل570هـ/1174م) في سيرة حياته، نشأة وتعلّما، وتعليما وتأليفا، مع ذكر كتابه السير ومنهجه فيه، فهو عَلَم من أعلام الجزائر في تاريخها الوسيط، مهتمٌّ بكتابة السير وعارف بمدى أهميتها أما جميع أنواع الكتابات التاريخية الأخرى.

ساهم بمؤلفه المشهور"سير أبي عمّار" في ذكر سلسلة مشايخ الإباضية من لدن أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة البصري في القرن الأول الهجري وإلى زمان أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني، فهو بذلك يربط بين القرون زمانا وبين المشرق والمغرب مكانا، وقد ضمّن كتابه الأساس الذي قام عليه الإباضية والسير التي تمسّكوا بها عبر الأزمنة والأوطان، رغم المحن والشدائد التي تعرّضوا لها إلا أنهم استطاعوا الصمود والبقاء بفضل نظام العزابة الذي كان الشيخ أبو عبد الله الفرسطائي منظرا له، وأبي عمار باعثه ومطوّره.

كلمات مفتاحية: الشيخ أبو عمار عبد الكافي.، الإباضية.، المغرب الأوسط.، السير.، منهج الكتابة التاريخية.

Abstract:

This research paper seeks to introduce Sheikh Abi Amar Abdul Kafi Al-Tnawati Al-Warjilani (before570Ah/1174Ad), in his biography; Growing up and learning, teaching and composing, with his book and curriculum in it. He learned from Algeria's medieval history, interested in writing the walk, and knew how important it was to all other kinds of historical

* المؤلف المرسل

writings. With his famous author "Siyar Abi Amar," he contributed to the series of epigraphic commenter's from Abu Ubayda Muslim Ibn Abi Karima and to the time of Abi Yacoub Yucef al Al-Warjilani. On the other hand, his book guarantees the basis for the allegory and the progress that they have pursued through times and nations, despite the hardships and hardships. However, they have been able to survive thanks to the undisputed regime of the Azzaba Ring. Since its establishment in the 5th/11th century, it was founded by Sheikh Abu Abdullah Mohammed bin Bakr bin Abi Bakr Al-Faristaei Al-Nafuss , who looked at it, and was its developer.

Keywords: .Sheikh Abu Amar Abd Al-Kafi;Ibadia; Middle Maghreb; Siyar ; Historiography.

1.مقدمة:

برز مشايخ الإباضية في بلاد المغرب على الساحة العلمية منذ القرن 2ه/8م، بمؤلفاتهم في مختلف المجالات، فقد عرفت حاضرة وارجلان في العصر الوسيط، وفترة الموحدين بخاصة (516-668ه/1121-1269م) حركة علمية كبيرة ومزدهرة، إذ أبرزت العديد من المشايخ والعلماء الإباضيين، الذين أسهموا في حركيتها الثقافية والعلمية بمختلف تآليفهم في العلوم النقلية والعقلية، فالقرن السادس الهجري كان بمثابة قرنها الذهبي، وساعدت الظروف السياسية والأمنية المستقرة تحت ظل الموحدين على الدفع بعجلة الازدهار اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا.

اهتم مؤرخو الإباضية بالكتابة في حقل السير والتراجم، وكان شغفهم بالسير أكبر، فالكتابة عن أخبار شيوخهم، وذكر مناقبهم قد توارثوه منذ زوال دولة الرستميين سنة 296ه/909م، وساعدهم نظام العزّابة وهم في طور الكتمان أن يتفرغوا للتأليف في شتى صنوف العلم.

من بين المشايخ الذين أنجبتهم وارجلان والذين ذاع صيتهم بسيرتهم قبل مؤلفاتهم، نذكر الشيخ أبا عمار عبد الكافي التناوتي الورجلاني(ت قبل 570ه/1174م)، والذي يعتبر مرجعا هاما من مراجع المذهب الإباضي، وذلك لتأثيره الفكري والديني على أهل الدعوة(الإباضية) بخاصة. فمن هو الشيخ أبو عمار، وكيف كانت الحياة العلمية في

عصره، وما هي آثاره العلمية التي عُرف بها وعُرفت به، وكيف كان منهجه وأسلوبه في كتابه السير؟، محاولين استخدام منهج وصفي واستقرائي وتحليلي لكتابه للوصول إلى مميزات الكتابة التاريخية في القرن السادس عموما، وهو يمثل أنموذجا لكاتب سير إباضي مغربي من القرن 6هـ/12م.

2.أبو عمار من الحلقة إلى الوظيفة

1.2 نسبه ومولده:

هو أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل بن أبي يعقوب يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني، هكذا أجمعت المصادر على اسمه(الدرجيني،2007: 306/2)، منها التي ذكرته بالكامل، ومنها التي اقتصرت على كنيته، واسمه واسم أبيه. ونسبته إلى قرية "تناوت"، أو"تناوتة" البربرية قرب سدراتة، إحدى قرى وارجلان، وهو اسم قبيلة بربرية سكنت نفزاوة، بلاد الجريد التونسي، ويبدو أن فرعا منها سكن ضواحي وارجلان، وبها سميت القرية(الطالبي، 1977: 173).

يُصنفه أبو العباس أحمد الدرجيني في طبقاته على رأس مشايخ الطبقة الثانية عشر(550-600هـ/1155-1203م)، في حين يضعه محمد بن زكريا الباروني وإبراهيم بن عيسى أبو اليقظان ضمن شيوخ الطبقة الحادية عشر من المائة السادسة(500-550هـ/1106-1155م)(الدرجيني، 2007: 306/2)، وهي تصنيفات تقريبية، يعني أنه من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد، ومعلوم أن الفترة فترة حكم الموحّدين الذين بسطوا نفوذهم على بلاد المغرب(516-668هـ/1121-1269م).

لم تذكر المصادر تاريخا محدّدا لميلاد الشيخ أبي عمار أو وفاته، وهي عادة كتب التراجم التي تُهمل تاريخ الميلاد وتهتم بتاريخ الوفاة في أحسن الأحوال، ويُرجّح الخروصي أن تكون ولادته متقدمة عن سنة 540هـ/1145م، إذ المصادر تُجمع على أن سفره إلى تونس كان بعد بلوغه سن البلوغ، وهذا دليل على طول مكثه بوارجلان، ضف إلى ذلك وفاة شيخه أبي زكريا يحيى، الذي أخذ عنه العلوم في وارجلان قبل سفره، والتي كانت

سنة 528هـ/1133م، أي أن سفر أبي عمار كان في العقد الأول من القرن السادس الهجري مابين (500-510هـ/1106-1116م) على سبيل التقريب(الخروصي، 2003: 98).

2.2أسرته وتعلمه:

يُعدّ الشيخ أبو عمار عبد الكافي سليل أسرة جمعت بين الحُسنيين أبًا عن جد، فعلمٌ ودينٌ وتُقًى من جهة، وجاهٌ ومال وثراءٌ من جهة أخرى، ويكفي أن نستشهد على توارث عائلته للعلم، بما وصف به الشماخي أبواه في سيره، إذ يقول: فأبوه قد "ذُكر في الأشياخ المتقين، ومن المخلصين المستجابين،... وأما جدّه إسماعيل بن يوسف، فهو أيضا من علماء المسلمين، ومن ذوي الكرامات التي لا تُنسب إلا للعارفين"(الشماخي، 2009: 710/2-711)، لكن المترَجَم له كان أشهرهم لكثرة الآخذين عنه، وكثرة تآليفه، وكثرة أجوبته المفيدة(الشماخي، 2009: 710/2)، أما في الجانب المادي فقد كان ميسور الحال، ودليل ذلك أنه لما كان طالبا في تونس، كانت عائلته تُرسل إليه ألف دينار كل سنة، فيُعطي نصفها لشيخه، الذي يدرس عليه، ويصرف النصف الآخر في شؤونه الخاصة، من نفقة وكسوة، وشراء ما يحتاجه من الكتب(معمر، 2008:156)، كما أنه لم يكن ليبخل بها على زملائه. و كان له جنان في الغابة بوارجلان الذي يهتم به الفلاحون الذين يعملون له، كما كان له قطيع غنم يتنقل به بين المراعي الخصبة في بادية بني مزاب(الفرسطائي، 2020: 73).

عاش عبد الكافي طفولته بتناوت المنسوب إليها، والواقع أننا لا نعلم عن نشأته شيئا كثيرا، ويبدو أنه تلقى علومه الأولى، وتدرّج فيها مثل سائر أقرانه، على يد مشايخ وعزّابة ورجلان، من أمثال: أبي زكريا يحيى بن أبي زكريا(ت571هـ/1175م)، وأبو سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي(ت حوالي550هـ/1155م)(ليفيتسكي، 2000: 65)، فأخذ عنهم التفسير والفقه والحديث والأدب وغيرها من العلوم(الخروصي، 2003:104)، واستظهر القرآن الكريم على أيديهم، فقد كانت ورجلان وقتذاك مزدهرة في الحركة العلمية، وفي ميدان العلوم النقلية بخاصة.

بعد أن استكمل دراسته الأولية بهذه الواحة، وأجازه شيوخها، حلّ بتونس من أجل تعلّم اللغة العربية من الأدب والنحو وغيرها(أبو اليقظان، د.ت: 05)، والتدرب على لسانها الفصيح، والتبحر في علومها، علوم القوانين والبراهين، وكذا الابتعاد عن شواغل الأهل والتفرغ للتحصيل، ومنادمة العلماء، فكانت تونس وقتها قبلة لطلاب العلم المغاربة، أي بمثابة الجامعة في يومنا، وقد تفرغ للدراسة هناك أعواما يصل ليله بنهاره دون ملل أو كلل، ومن زملائه في الدراسة: أبو سعيد سليمان بن علي الدرجيني صاحب كتاب الطبقات، وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي صاحب كتاب السؤالات وغيرهم(سليمان بوعصبانة، 2016: 143).

3.2 شيوخه ومعاصروه وتلاميذه:

مَثَلُ الشيوخ والعلماء والطلبة، كمثل شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فالأصل هم أساتذتهم ومشايخهم، والفرع هو الثمار التي تُجنى من علمهم أي تلاميذهم، والشيخ أبو عمار من هؤلاء العلماء المشايخ الذين ذاع صيتهم في الآفاق، لا بتآليفهم فحسب، بل حتى بتلامذتهم الذين تخرّجوا من حلقته، فقد نهل العلم من مشايخ كثيرين، كان لهم فضل ترسيخ المبادئ الدينية الأساسية فيه، منهم: أبو زكريا يحيى بن أبي زكريا، الذي وصفه الدرجيني بأنه "قرأ العلوم وأتقنها، وأوضح المشكلات وبيّنها، ورتّب السير وأحكمها، وتعلّم العلوم وعلّمها"(الدرجيني، 2007: 290/2)، وأبو سليمان أيوب بن إسماعيل المزاتي، "البحر الذي تتقاذف في غواربه السفن، وبدرٌ يقتدي به من اقتفاه من المقتفين،...شيخٌ من شيوخ أكثرهم ساد وقلّ ما روي من تلامذته إلا من استفاد"(الدرجيني، 2007: 283/2)، و أبو عبد الله محمد بن بكر واضع نظام العزّابة، "الطود الذي تضاءلت من دونه الأطواد،...أسس في قواعد السيرة وله في كل فن تآليف كثيرة.."(الدرجيني، 2007: 197/2)، وقائمة شيوخه أكثر من أن نحصرهم عددا، سواء شيوخه في وارجلان، أو في تونس أو في القيروان.

كما أنه كان مدرسة قصدها طلبة العلم من كل حدب وصوب، فخلّف وراءه أجيالا من التلاميذ، والقائمة أكبر من أن نحصيها في هذه الأسطر، نذكر منهم: أبو يحيى إسماعيل بن يحيى، وسليمان بن محمد بن إسحاق، وأبو الربيع سليمان بن يومر، وأبو الفتوح بن موسى بن يعقوب، وأبو سهل إبراهيم بن سليمان، وعبد الله بن سجميمان، وأبو عمران موسى بن محمد، والشيخ يَلِسان، وأشهرهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني صاحب التآليف الكثيرة(مجموعة مؤلفين، 1999: 540).

من المشايخ المعاصرين له: أبو عبد الله عبد السلام بن منصور بن وزجون المزاتي، وأبو الربيع سليمان بن حسان الوسياني، وأبو عبد الرحمن الكرثي، وأبو الربيع سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني وهو جدّ صاحب الطبقات، وأبو رحمة حنين بن القاسم الورجلاني، وأبو الربيع سليمان بن محمد بن إسحاق، ويوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني، وأبو موسى عيسى بن حمدان المديوني الهواري، وغيرهم كثيرون*(Lewicki, 1935:165)*.

3.أبو عمار من الأخذ إلى العطاء

1.3مصدر رزقه:

إثر عودة عبد الكافي إلى مسقط رأسه ورجلان، تصدى لإحياء ما اندرس من الآثار فقد "خدم العلم دهرا، حتى وعاه، وأوعى منه الأوعية، ثم أخذ يفتي به ويُعلّمه، فسالت منه الأودية في تصنيف كتاب، أو تهذيب جواب، أو تدريب متكلم، أو إفادة متعلم"(الدرجيني، 2007: 306/2)، وكان شغله الشاغل بعث الثقافة والعلوم عبر حلق العلم، فاضطلع بالتدريس والفتوى(معمر، 2008: 125)، فقصده الطلبة المغاربة من مختلف مواطن الإباضية، ومن جربة بخاصة(السالمي، ط1، 2014: 16/3)، وأفاده تعلّمه بتونس الموحّدية أيّما إفادة، إذ تمكن من ناصية اللغة العربية التي أتقنها بطلاقة، وهذا نادر عند المؤرخين الإباضيين ذوي الأصول البربرية، وظهر ذلك في تمكنه من الإجابة عن الفتاوى باللغتين العربية والبربرية للسائلين.

2.3 رحلاته العلمية:

تُعتبر رحلته إلى تونس أولى رحلاته العلمية خارج الديار، والتي طالت مدتها، ومؤكد أنه زار خلالها بعض مدن إفريقية القريبة كالقيروان وجربة، واستغرقت فترة طويلة من شبابه، أما رحلته الثانية فكانت مشرقية صوب البقاع المقدسة، فقد حج أبو عمار إلى مكة رفقة تلميذه أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني(ت570هـ/1174م)، الذي دوّنها في قصيدته الحجازية، كما زار في الطريق عديد القرى والمدن والبلدان، و استغرقت الرحلة من الوقت زهاء العامين(باجو، 2007: 111)، بسبب ما لاقى من المشاق، وبعد رجوعه منها استقر بمسقط رأسه، وكانت له رحلات موسمية إلى بادية بني مصعب(مزاب)(سليمان بوعصبانة، 2016: 143).

3.3 آثاره العلمية وسجاياه:

كان الشيخ أبو عمار أحد العلماء الأكثر تفوقا في عصره، وهو نادرة من نوادر الزمان في الذكاء والفهم والحفظ والرغبة في العلم(ليفيتسكي، 2000: 64)، عُرف بأخلاق السماحة والسخاء، وصفات الورع والجد والذكاء، وكان ذا كرامات، فقد وصفه الطلبة النفطيون الذين درسوا معه بتونس قائلين:"أدركنا أشياخنا يذكرون طالبا من أهل وارجلان...يتعجبون من فهمه وحفظه ومواظبته وورعه، وسخائه وجلالة نفسه، وسعة خلقه،...لم يُر مثله من العرب ولا من البربر"(الدرجيني، 2007: 307/2).

أما من حيث مكانته العلمية، فهو لا يقلّ مرتبة عن ابن رشد والإمام الغزالي في أصالة تفكيره وعمق نظره، إذ كان من أعظم مفكري الإباضية في طرح المشاكل الفلسفية وتحليلها، كما أنه لا يقلّ عن متكلمي المعتزلة والأشاعرة والشيعة مقدرة على التأليف(الطالبي، 1977: 219/1)، واهتم كثيرا بعلم الكلام والمنطق والجدل، وعلم الباطن، ويعود إليه الفضل في إحياء المذهب إذ تداركه " قد أُقبر فأنشره نشورا، ونوّه به، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، فأحيى الله به رفاته، وجمع ببركته

شتاته"(بابا حمو، 2003: 416)، كما كان مقصد الناس في الفتوى، وله مراسلات عدة مع علماء الإباضية من وارجلان وغيرها من حواضر الإباضية، وحتى من بلاد غانة.

أولى الشيخ أبو عمار جانب التأليف اهتماما خاصا، فترك بذلك تراثا فكريا قيّمًا، وهو من الذين فتحوا الباب للفقه المقارن إلى جانب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، والشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني، والشيخ إسماعيل الجيطالي، والشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي(البرادي، 2014:238)، ومن تآليفه العديدة منها المخطوطة ومنها المحققة والمطبوعة، ومنها المفقودة ما يلي:

1-**كتاب الموجز في علم الكلام:** في جزأين، الأول منهما تناول فيه إثبات عقيدة التوحيد وردّه على الملاحدة والمخالفين لملة الإسلام من الفلاسفة واليهود والنصارى، ونقض مذهب الجهمية والمجسمة، أما الثاني فكان فيه ردّ على المخالفين من أهل القبلة في قضايا العقيدة المختلفة، وللشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (القطب) حاشية على هذا الكتاب، قام بتحقيقه ودراسته د. عمار الطالبي الجزائري تحت عنوان: "آراء الخوارج الكلامية"، تم طبعه بالجزائر في جزأين، من طرف الشركة الوطنية للكتاب، سنة 1978، وطُبع أيضا بعُمان، كما قام بتحقيقه أيضا د. عبد الرحمن عميره المصري في جزأين بمجلد واحد، وطبعته دار الجيل ببيروت، سنة 1990(الخروصي، 2003: 128-129).

2-**كتاب شرح الرد على الجهالات لتبغورين بن عيسى الملشوطي:** وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة في العقيدة والدلائل والقضاء وفي صفات الله وفي التوحيد، وقد حشَّاه عدد من العلماء منهم: أبو يعقوب يوسف المصعبي، وأبو ستة السدويكشي، وهذا الكتاب لا يقلُّ أهمية عن كتاب الموجز، حقَّقه الباحث عامر ونيس الطاهر، بإشراف علي الشابي، بعنوان: "كتاب شرح الرد على الجهالات: تأليف الشيخ أبي عمار عبد الكافي الإباضي من علماء القرن السادس الهجري"، في إطار إعداده لأطروحة دكتوراه مرحلة ثالثة، بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدّين بتونس سنة 1985.

3-**كتاب الاستطاعة:** وهو كتاب في العقيدة، **وكتاب الاختلاء، وكتاب في الفروع**، وكلها مفقودة.

4-**كتاب في اختصار المواريث والفرائض**: وهي رسالة في الميراث، قام بطبعها الشيخ محمد بن يوسف الباروني في المطبعة الباروني بمصر دون تاريخ، عرفت الرسالة طريقها للتحقيق عن طريق الطالب: عمر بن كرامغ كمارا من دولة مالي في إطار بحث لنيل إجازة التخرج في العلوم الإسلامية، تحت إشراف: الشيخ الحاج أحمد كروم، بمعهد عمي سعيد (غرداية)، سنة 2005.

5-**كتاب السيرة في نظام العزّابة أو سير المشايخ أو سير أبي عمار**: هو كتاب اشتمل على سير مشايخ الإباضية وقسّمه إلى أقسام حسب التاريخ الهجري، كل نصف قرن جيل، ابتداء من المائة الأولى وحتى منتصف المائة الخامسة، وهي نهاية سيره، و واصل ترتيبه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني حتى بلغ الطبقة الثانية عشر.

6-**مجموعة مراسلات(فتاوى)**مع علماء الإباضية في مزاب وبلاد غانة، إذ كان مقصد الناس في الفتوى، (مخطوط).

7-**مجموعة مراسلات في العقيدة:** وردت في كتاب السؤالات لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي.

8-**مقولات حكيمة:** في شؤون الدين والدنيا(معمر، 2008: 160).

4.3 وفاته:

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة الشيخ أبي عمار عبد الكافي التناوتي، فمنهم من يرى بأنه قبل وفاة الشيخ أبي يعقوب سويف بن إبراهيم الورجلاني المتوفى سنة570هـ/1174م، ومنهم من يرى بعد ذلك، ويُجمع أغلبهم على أنه ما قبل تلك السنة، وأدلة ذلك عديدة(باجو، 2007: 113-114)، وكلها تنحصر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وكانت وفاته بتناوت (ورجلان)مسقط رأسه، وقبره موجود في ضاحيتها الشمالية الغربية على بعد 5كلم بمنطقة بامنديل، ويُزار كل سنة، فصل الربيع(أبو

اليقظان، د.ت: 15)، وضريحه على بعد خطوات من الغار الذي كان يدرّس ويتعبّد فيه، وهو غار منحوت في ربوة جبل قدر ما يقف فيه المصلِّي، ويأوي مجلسا من عشرة رجال، وتكون زيارته من قِبل أهالي ورجلان في أول يوم إثنين من شهر مارس كل سنة، وعادة قبل زيارة آثار سدراتة بأسبوع واحد(سليمان بوعصبانة، 2013: 54).

5. أبو عمار من المسيرة إلى السِّيَر

1.5 أهمية كتاب السير:

من مؤلفات الشيخ أبي عمار كتاب: **سير أبي عمار**، أو سير الحلقة. أو كتاب المختصر، يرجّح أنه جزء من كتاب الدرجيني في قسمه الأول، فالدرجيني نفسه يُصرّح بذلك قائلا: "هذا الفصل نقلته مما فعله الشيخ أبو عمار عبد الكافي"(الدرجيني، 2007: 6/1)، وهو كتاب صغير الحجم، جمّ الفوائد، أما موضوعه فهو روايات لتلاميذ أبي عمار عن شيخهم في نسبة الدين، وذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم الإباضية في المشرق والمغرب، بدءا من الصحابة وحتى زمن أبي عمار، ثم تعريف معنى العزّابة وتقسيمه لهم، ووظائف مجلسهم وشروط العزّابي(الخروصي، 2003: 132-133).

2.5 نسخ الكتاب وتحقيقاته:

توجد نسخ عديدة لسير أبي عمار في مختلف مكتبات مزاب(غرداية)، وقد يكون منها نسخ في نفوسة (ليبيا)، أو جربة (تونس)، أو حتى في مكتبات عامة أو مكتبات الجامعات خارج الوطن، وله طبعة حجرية بالمطبعة العلمية بتونس تعود لسنة 1903م، وذلك ضمن مجموع يضم أيضا سير أبي الربيع سليمان المزاتي(بحّاز، 2012: 163)، وقد تحصلتُ على قائمة لبعض فهارس مكتبات غرداية وقراها، تحوي مئات العناوين من المخطوطات في مختلف فنون العلم، ووجدت بينها أعدادا من سير الحلقة صنفتها في جدول.(انظر آخر المقال)

حمل المؤلَّف تسميات منها: **سير أبي عمّار**، و **سيرة العزّابة**، و**سير الحلقة**، و **كتاب المختصر**. وعُني بتحقيقه د. مسعود مزهودي وسماه: "**سير أبي عمار عبد الكافي (ت**

ق6هـ/ 12م)"، وقامت مكتبة الضامري العُمانية في مسقط (عُمان) بطبعه طبعة أولى سنة 1996، واعتمد محققها على نسخة واحدة من المخطوط، لم يذكر تفاصيل عنها، كما تولى تحقيقه الباحث خالد دبوز في إطار ماستر التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، سنة 2020، وتم ضبط نصه وطبعه طبعة ثانية من قِبل الباحث الناصر بن حمو أويابة، بعنوان طويل: "**كتاب سير أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني رحمه الله في نظام حلقة العزّابة من علماء القرن السادس الهجري** "، منشورات مكتبة المسجد العتيق، غرداية، دون تاريخ الطبع.

3.5 منهجه:

عند قراءتنا لسير أبي عمار بتحقيق الأستاذ الدكتور مزهود مسعودي، تبيّن لنا بأن ما بين أيدينا ليس من تأليف الشيخ أبي عمار، وإنما كان من نتاج تلامذته، أو شيخ من المشايخ، وذلك من مقدمة الكتاب، إذ يقول بعد البسملة والتصلية: "هذه سير أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني رحمه الله ورضي عنه"(أبو عمار، 1996: 11)، كما يُذكر اسم أبي عمار في صفحات أخرى، ولا يوحي بأنه يتحدث عن نفسه، وقد أكّد ذلك محققه د. مسعود مزهودي في مقدمته، كما أشار إلى ذلك سالم بن هلال الخروصي نقلا عن المحقق أيضا في الكتاب الذي عرّف فيه بسيرة وعصر العلامة أبي عمار.

كما يمكن أن يكون من تأليف شيخ من المشايخ معاصر لأبي عمار– وهذا ما أميل إليه- قد يكون من العزّابة وهو أغلب الظن، ودليل ذلك ما نصه: "وأجمع تلاميذ أبي عمار فقالوا له..."، و"قال أبو عمار عبد الكافي لتلميذه"(أبو عمار، 1996: 12-14)، ففي كلا الروايتين شخص ما يتحدث عن تلاميذ أبي عمار، كما أن اسم أبي عمار قد ورد في بعض الأسطر مجردا من صفته كشيخٍ، وكأن المؤلّف زميل له أو يقربه سنّاً، ضف إلى ذلك مجموعة من الأدعية التي ترد في كل مرة، والتي عادة ما تصدر من المشايخ أكثر من التلاميذ، وحتى العبارة التي انتهى بها وهي: "تمّ ما وجد"(أبو عمار، 1996: 22)، لتجعلنا نجزم بأن الكتاب من تأليف أحد غيره من المشايخ، لكن المثير للاهتمام أن نسبة الكتاب

لأبي عمار كانت واضحة عند أبي العباس الدرجيني(ت670ه) وأبي القاسم البرّادي(ت810ه)، اللذين لم يُكلّفا نفسيهما عناء التحقق من نسبة الكتاب، وهذا يطرح أكثر من سؤال.

عند قراءة عنوان الكتاب وهو سير أبي عمار، يتراءى لنا لأول وهلة أننا أمام مؤلَّف يتحدث عن حياة الشيخ أبي عمار عبد الكافي من المهد إلى اللحد، الذي بلغ درجة من الاستقامة والنبل، وكان ذا أقوال مأثورة، وأفعال محمودة، وآثار ومناقب طيلة فترة حياته، كما هو متعارف عليه في مفهوم السيرة، لكن بقراءة متأنية لمحتواه، نجد أنفسنا أمام منحًى آخر للسيرة، إذ نجد فيه تعاريف لنظام حلقة العزّابة وشروطها ووظيفة أعضائها، فأين هي سيرة الشيخ أبي عمار؟.

إن المنظور الإباضي للسير، قد يختلف تماما عن المنظور العام لها، فيراها إباضية المغرب على أنها تاريخ ممزوج بمآثر الشخص وحسن سيرته، ومن هنا جاءت بعض مصادر المغاربة تحمل عنوان "السير"، وعادة ما تُنسَب إلى مؤلفها كسير الوسياني وسير الشماخي، ولها مدلول آخر وهو أنها تأتي على شكل مواعظ وحكم وأمثال وأحكام فقهية، ووصايا تربوية، مثل ما جاء في سير أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وقد عرّفها أبو العباس الدرجيني بأنها سيرة خصوصية لأهل الدعوة من المشايخ وربطها بالعزّابة، إذ كانت حياة العزبة هي في ذاتها السيرة المثلى، أما الشماخي فوصفها بأنها عبارة عن"بعض أخبار السالفين بعد التيمّن بلُمع أخبار الرسول ﷺ والتبرك بشيء من أخبار الصحابة"(الشماخي، 2009: 108/1).

من هذه التعاريف التي قدّمها كبار كُتّاب السير الإباضيين، نجد أن السيرة التي بين أيدينا ينطبق عليها ما عرّف به الدرجيني، أي أن سير أبي عمار عبد الكافي عبارة عن سيرة خاصة بأهل الدعوة من المشايخ والتلاميذ عامة والعزّابة بخاصة، ونلمس ذلك في قوله: "فهذه سير أهل المذهب رحمهم الله"(أبو عمار، 1996:18)، بعد أن يأتي على سرد نظام العزّابة تعريفا وشروطا وأهدافا.

إن أسئلة كثيرة تبقى مطروحة، تنتظر من المحققين لسيره الإجابة عنها، منها: من يكون مؤلف سير أبي عمار؟ هل هم تلامذة أم شيخ من المشايخ، جماعة أم فرد؟ هل هم من وارجلان أم تلامذة من مختلف البلدان تزامنت دراستهم على يد أبي عمار؟، إن كان شيخا عزّابيا، فمن هو، وما صلته بأبي عمار؟ ما غرضهم من هذا التأليف؟ هل من أحد طلب منهم ذلك؟هل مصدر سيرهم شفوي أم مدوّن؟ أم هي سلسلة دروس دوّنوها مشافهة، بمحضر شيخهم؟ ما الذي دعاهم إلى ذكر سلسلة نسب الدين قبل سير الحلقة؟ ولماذا لم يكتفوا بسير حلقة العزّابة فقط؟.

كان المنهج إخباريا سرديا،خال من أي نقد أو تحليل، أو ذكر للأدلة، إذ كان الغرض جمع كل الأخبار والمعلومات والتعاريف عن نظام الحلقة، الذي أسسه أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي سنة 440هـ/ 1048م، وشرحه، وتوضيحه رواية عن الشيخ أبي عمار، خوف اندثاره، وانطماس معالمه.

جاءت البداية بسلسلة نسب الدين، ليس سردا لها فحسب، إنما لترسيخ العقيدة والمذهب في نفوس طلبة العلم، وتبيان جذورهم المتصلة والموصولة بكبار التابعين والصحابة ثم رسول الله ﷺ ، إذ نستشف ذلك من قولهم: "يا شيخنا نريد أن ترينا بعض الكرامة تطمئن بها قلوبنا على هذا المذهب"(أبو عمار، 1996: 12)، وقد جاء مطلبهم على شاكلة طلب سيدنا موسى عليه السلام رؤية ربه، أو سيدنا إبراهيم عليهما السلام حتى تطمئن قلوبهما. يبقى هل يمكن اعتبار تلك كرامة أم أسطورة؟ على عادة كتب السير، كما تتخلل الجمل بعض الأدعية، و نلمس هناك أسلوب الحوار الشيق الذي اتبعوه.

يقول الدرجيني في ترتيب طبقات الشيخ أبي عمار: "فهذا الترتيب الذي رتّبه الشيخ أبو عمار عبد الكافي حسن في المعنى، إلاّ أنه لم يذكر الطبقة التي فيها شيوخه ومعاصروه، إلاّ بعضا من الكلّ، واستغنى فيها عن كثير من العدد، وفي من سمّى كفاية"(الدرجيني، 2007: 9/1)، كما وصف أبو الفضل أبو القاسم البرّادي من جهته عمل أبي عمار بقوله:"رتّب أبو عمار رضي الله عنه الطبقات على سنين الهجرة والتاريخ، الذي بينه وبين

هجرة رسول الله ﷺ ، وأخذ في ذكر المشايخ من عند أبي بكر، والواجب عليه أن يذكر ابتداء التاريخ من أوّله، لكنه قصد الاختصار"(البرّادي، 2014: 28)، وجاء ذكر المشايخ في السلسلة بترتيب زمني محكم، بدأ من لدن رسول الله ﷺ أي القرن الأول الهجري، السابع للميلاد إلى زمان الشيخ أبي عمار، وهو القرن السادس الهجري، الثاني عشر للميلاد أي فترة خمسة قرون، دون ذكر لرجال القرن الثالث والرابع والخامس الهجري، كما لم يُذكر بالاسم الرجال العشرة حملة العلم، وذلك تجنبا منهم للإطناب في سرد أسمائهم، و"غيرهم من التابعين كثير رضي الله عنهم"(أبو عمار، 1996: 11)، كما صرحّوا بذلك، وهذا دليل على أن مصدر معلوماتهم كان مشافهة عن الشيخ أبي عمار نفسه، أو عن مجموعة مشايخ آخرين.

أما القسم الثاني من سيره والخاص بالحلقة ونظامها وشروط الانضمام إليها، فضلا عن الأعضاء البارزين فيها كالإمام والمؤذن، والوكيل وغسلة الموتى ومعلمي الصبيان، فغالبية نصه منقول عن أقوال الشيخ أبي عمار، وقد يكون منها ما هو مأخوذ من مؤلفات قديمة، قد تكون تاريخية أو عقدية أو حتى فقهية، فمؤلفات زمانهم كانت تجمع بين كل هذه الفنون.

تميز أسلوب الكتاب بالبساطة والوضوح، في جمل سهلة خالية من المحسنات البديعية الأدبية، كما أن د. إبراهيم بحاز شبّهه بسير المزاتي(بحّاز، 2012: 165)، فيه بعض الكلمات العامية منها: "فتوضّى"(أبو عمار، 1996:12)، أي فتوضّأ، كما أن هناك خللا في ترتيب النصوص كما يبدو، فالأَولى البداية بسير الحلقة، ثم ذكر سلسلة نسب الدين، حتى يستقيم العمل.

لو ابتعدنا قليلا عن سير أبي عمار، وغُصنا في المصادر السيرية الإباضية التي جاءت بعده مثل: طبقات أبي العباس الدرجيني وسير أبي الربيع الوسياني وسير أبي العباس الشماخي، بحثًا عن روايات منسوبة لأبي عمار أو كان صانعا للحدث فيها، لوجدنا جملة من المسائل العديدة التي كانت ترده، وقد أفتى فيها بفتواه، سواء منها تلك التي وردت إليه

من مشايخ وارجلان أو من الأقطار الأخرى، وحتى تلك التي وردت إليه باللغة البربرية وقد أجاب عنها(الدرجيني، 2007: 309/2).

4.5 موارده والمآخذ عنه:

فيما يخص سير أبي عمار، لم يوضح مؤلفوه مصادرهم، التي من المحتمل أن تكون شفوية أكثر منها مكتوبة، فسلسلة نسب الدين المذكورة في الصفحات الأولى والثانية، لا يمكن إلا أن تكون نقلا من مصدر مدوّن، أو عن شيخ ذي ذاكرة قوية، حافظٌ للمشايخ المذكورين.

اعتمد الشيخ أبو عمار في رواياته الواردة على لسانه في مختلف كتب السير، على مشايخ عديدين، منهم: أبو الفتوح، وداود بن زيدون، وعن أبي يعقوب يوسف بن محمد التناوتي، وأبو موسى عيسى بن حمدان، وأبو رحمة حنيني اليكشني، وسعيد الحدائي، وغيرهم كثيرون(الوسياني، 2009: 585/2)، والملاحظ أن غالبيتهم من معاصريه، عن قريب أي زملاء الدراسة، أو أنهم ممن كان ضمن المشيخة بوارجلان، أو بعيد، كانوا من مشايخ الأقطار لهم صلة بأبي عمار في رحلاته وتنقلاته.

أما الذين رووا عنه رواياته، منهم: أبو الفتوح المذكور آنفا، وأبو الربيع سليمان بن يومر، وأبو سهل إبراهيم بن سليمان بن ويجمّن، وأبو الربيع سليمان بن محمد بن إسحاق، وأبو نوح صالح بن إبراهيم(ليفيتسكي، 2000: 76)، وغيرهم كثيرون أيضا، ونفس الملاحظة على هؤلاء، إذ أن أغلبهم من معاصريه أو من تلامذته.

الجدول 1:نسخ مخطوط سير أبي عمار وعناوين أخرى بمكتبات غرداية وعُمان

عنوان المخطوطة	رقم الفهرس	اسم المكتبة	المكان
سير الحلقة	ش ص/ د غ110	الخزائن الثلاث	غرداية
ذكر لمع من سير الحلقة	62	الحاج عمر بن الحاج مسعود	القرارة
سير الحلقة	خ27/1	الاستقامة	بني يزقن
سير أبي عمار	ش22	خزانة آل شقبقب	غرداية
سير الحلقة	أ د غ 50	الاستقامة	بني يزقن
سيرة أبي عمار	د غ 82	الحاج صالح لعلي	بني يزقن
سيرة أبي عمار	م 79	الحاج صالح لعلي	بني يزقن
سير الحلقة	13	الحاج سعيد محمد	غرداية
سير الحلقة	د غ 30	الحاج سعيد محمد	غرداية
مختصر طبقات المشايخ	65	أحمد الخليلي	عُمان
سير أبي عمار	32	الاستقامة	بني يزقن

المصدر: بعض فهارس مكتبات بلديات غرداية

6.خاتمة:

بعد هذه اللمحة عن جوانب من حياة الشيخ أبي عمار عبد الكافي التناوتي، وآثاره ومنهجه في كتاب السير يمكن الوصول إلى أن:

-جوانب عديدة من سيرة الشيخ أبي عمار تبقى غامضة، إن لم نقل لغزا بحاجة لفك رموزه، فلا تاريخ مولده ووفاته مضبوطان بدقة، ولا فترة تمدرسه بوارجلان، أو تونس معروفتان، وحتى أن هناك لبس بين شيوخه وتلاميذه، خاصة الشيخ أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الورجلاني، الذي لم يُعرف إن كان شيخا له، أو تلميذه، وتبقى مجرد احتمالات وتكهنات مستقاة من الروايات الواردة في كتب سير الإباضية، بالمقارنة مع شيوخ آخرين معاصرين له.

-كتابه السير ورغم جهود د. مسعود مزهودي، إلا أنه بحاجة ماسة إلى سبر أغواره بتحقيق علمي أكاديمي يستحقه، بعد جمع جميع نسخ مخطوطاته المذكورة، وغيرها من المكتبات المحلية والعالمية، فالقائمة المذكورة تخص بعض مكتبات مزاب وعُمان فقط.

- رغم صغر حجم كتاب سير أبي عمار، إلا أنه أضاف إلى طبقات الدرجيني حلقة هامة كانت مفقودة، وهي طبقة مشايخ الإباضية في القرون الأولى من الهجرة، رغم أنه لم يأت على التعريف بهم، التعريف اللازم.

- توصّلنا إلى احتمال تأليف السير من طرف شيخ معاصر لأبي عمار من العزّابة، لم يُفصح عن اسمه، وذلك بعدة دلائل وقرائن، بعد أن كان المتعارف عليه أنه من تأليف بعض تلامذته، لكن يبقى الأمر مرهونا بالمحققين الذين سيثبتون ذلك أو ينفوه.

- أسهمت كتب أبي عمار الفقهية والعقائدية، ومراسلاته في إثراء المكتبة الإباضية والإسلامية عامة، برصيد هام من العلوم والمعارف، وهي بحاجة إلى اهتمام أكبر من قبل الباحثين، بحثا وتحقيقا، وطباعة ونشرا، كما يجب البحث عن المفقودة منها، حتى تعرف موقعها بين كتب العقيدة والفقه الإسلامي.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أبو اليقظان. (د.ت). *أفناذ علماء الإباضية. القرارة*: نسخة بحوزة جمعية التراث.
2. إبراهيم أعزام بابا حمو. (2003). *غصن البان في تاريخ وارجلان*. دراسة وتحقيق إبراهيم بحاز وسليمان بومعقل، غرداية: المطبعة العالمية.
3. إبراهيم بحّاز. (2012،جانفي). *"مصادر تاريخ إباضية المغرب في العصور الوسطى"* . دورية الحياة .ع16،(160-169)
4. أبو الربيع سليمان الوسياني. (2009). *سير الوسياني*. مسقط، عُمان: وزارة التراث والثقافة.
5. أبو العباس أحمد الدرجيني. (2007). *طبقات المشايخ بالمغرب*. غرداية: دار العلم.
6. أبو العباس احمد الفرسطائي. (2020). *كتاب الألواح*. قابس: مطبعة الإشهار.
7. أبو العباس احمد الشماخي. (2009). *كتاب السير*. تونس: دار المدار الإسلامي.
8. أبو عمار عبد الكافي. (1996). *سير أبي عمار عبد الكافي(ت ق6هـ/ 12م)*. السيب، عُمان: مكتبة الضامري.
9. أبو القاسم بن إبراهيم البرادي. (2014). *الجواهر المنتقاة فيما اخل به كتاب الطبقات*. لندن: دار الحكمة.
10. الخروصي سالم. (2003). *الشيخ العلامة أبو عمار عبد الكافي التناوتي-عصره وحياته وفكره-* . السيب، عُمان: مكتبة الضامري.
11. السالمي عبد الرحمن. (2014). *مقالات مختارة لتادايوش ليفتسكي (الجزء الثالث)* . *ط1*، مسقط: بيت الغشام للنشر والترجمة.
12. سليمان بوعصبانة عمر. (2013). *معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان-من سقوط الدولة الرستمية 296هـ إلى خراب سدراتة626هـ-* . غرداية: درا نزهة الألباب.

13. سليمان بوعصبانة عمر. (2016). *منتقيات من التراث-مقالات ومحاضرات-*. بركاء، عُمان: مكتبة خزائن الآثار.

14. الطالبي عمار. (1977،جانفي). "أبو عمار عبد الكافي والنسق الكلامي". *الأصالة* .ع41، (172-179)

15. ليفيتسكي تاديوس.(2000). *المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

16. مجموعة مؤلفين. (1999). *معجم أعلام الإباضية -قسم المغرب-* . غرداية، الجزائر: جمعية التراث، القرارة.

17. مصطفى باجو. (2007). *أبو يعقوب الوارجلاني-أصوليا-دراسة لعصره وفكره الأصولي مقارن بأبي حامد الغزالي*. عُمان: وزارة التراث والثقافة.

18. معمر علي يحيى. (2008). *الإباضية في موكب التاريخ*. مراجعة إبراهيم بابزيز، عمان: مكتبة الضامري.

19. Lewicki, Tadeuz. *(1935). Notice sur la chronique ibadite d'ad- Dargini. revue des études islamiques .*